الآراء لا تدوم[1]

درست قبل ست سنوات مادة الإحصاء في الولايات المتحدة الأمريكية مع فتاة تبغض الزواج، ترتدي بإسراف (فانلات) مرسومًا عليها وجوه رجال بشعين تعلوهم علامة إكس (X) وتذيِّل توقيعها، في بريدها الإلكتروني بعبارة: الروائية البريطانية الشهيرة، ماري كوريللي: لا أريد زوجًا؛ لأن لدي حيوانات أليفة تؤدي الدور نفسه، لدي كلب ينبح كل صباح، وببغاء يثرثر طوال الظهر والعصر، وهِرّ يأتي خلسة إلى المنزل في ساعة متأخرة من الليل.

وكان واحد من زملائي السعوديين أحد أكبر المناهضين لها، يستعرض صور زوجته وأطفاله المبتسمين أمامها؛ نكاية فيها، ولسان حاله يقول: موتي غيظًا!

وكلما استفزّها ابن جلدتنا بعثت إليه رابطًا إلكترونيًّا يحتوي على مشاهد لأسر منكوبة إثر الزواج، أو أخبارًا صحفية تظهر اعتداءات الآباء على ذويهم.

وكان الفصل برمته يتفرج بحماسة على القصف المتبادل، فقد كانت تصلنا نسخ من تلك الروابط والرسائل، كأننا نجلس حول حلبة ملاكمة، نحتسي القهوة، ونهتف مع كل لكمة.

(١) (قصة بتصرف) جاءتني عبر البريد الإلكتروني أنقلها لكم.

وحينما أرسلت إليه زميلتنا عبارة الممثل والمخرج الأمريكي وودي ألين: «لم أشعر أنا وزوجتي بلذّة مشتركة إلا عندما وقّع القاضي أوراق الطلاق».

ردّ عليها بإيميل أرفق فيه صورة ضوئية لبطاقة رومانسية أهدتها إليه زوجته كتبت فيها: «عالمي أصبح معك أزكى وأشهى، لا أدري ماذا سأفعل لو لم تكن في حياتي؟!، سأكون قطعًا إما محاصرة في مستشفى المجانين أو أحد أنصار المخرج الفارغ وودي ألين».

وعندما كتب زميلنا مقالًا في نشرة الجامعة، يتناول خلاله دور الأزواج في تشييد الأسر الناجحة، ردّت عليه في العدد المقبل بمقال طويل استهلّته بتصريح ساخر للكوميديان الأمريكي، جاكي ماسون، يقول فيه: «ثمانون في المئة من الرجال المتزوجين يخونون في أمريكا، والبقية يخونون في أوروبا».

وفور أن سألته زميلته اللدودة في الفصل: «كيف تستطيع أن تنام بجوار شخص يشخِّر؟».

أجابها بسؤال مباغت: «هل جربتِ أن تتناولي فطورك في الفراش؟ اعتدت أنا وزوجتي إعداد الفطور لبعضنا».

استرجعت هذه الحرب الضروس بعد أن جمعنا الفيس بوك أخيرًا بعد سنوات من التشرد والشتات.

المفاجأة كانت أن زميلتنا العزبة الشهيرة، المناوئة للزواج، تزوجت وأنجبت، وتعيش حياة سعيدة مع زوجها وطفلها، بحسب تعبيرها، في حين أن زميلنا المنافح عن الحياة الزوجية يعيش حياة أسرية «مضطربة» وفق وصفه. وعندما سألته عن السبب أجاب مازحًا: «أكل الأجبان يوميًّا يسبب الإمساك».

قصة زميلتنا وزميلنا السابقة تؤكد أن الآراء المتطرفة لا تدوم، بل تنهار، وتهرم مع مرور الوقت.

فلا الانصراف عن الزواج خيار منطقي وموضوعي، ولا تصوير الحياة الزوجية بالوردية أمر موفق.

معاناة كثير من المتزوجين والمتزوجات، على حد سواء، تكمن في أنهم كانوا يعتقدون أن الزواج كالاستجمام الدائم على شاطئ مبلل بالفرح والبهجة، ما ينعكس سلبيًّا على حياتهم، عندما يقترن أحدهم فعليًّا بشريك العمر، حيث يكتشفان أن الزواج ليس كما كانا يتصورانه.

فمنذ أن يغلق الزوجان الباب عليهما تجتاحهما المسؤوليات شيئًا فشيئًا لتحل محل المشاعر الرومانسية

المتأججة، فيتسرب الملل، ويشيع الإحباط إذا لم يتعاملا بتوازن مع واجباتهما وسعادتهما المشتركة.

المقدم على الحياة الزوجية عليه ألا يُفرط في التفاؤل، ولا يدع المسؤوليات والواجبات والأطفال تسرق حياته وزوجته منه، والعكس صحيح.

وإذا أراد أحدهما من الآخر شيئًا فعليه أن يبادر، فإذا سئم الزوج من تسريحة زوجته أو هيئتها فعليه أن يبدأ بنفسه أولًا، فيعتني بهندامه ومظهره، فمن غير اللائق أن ينتقد الرجل لباس زوجته، وهو يرتدي ملابس رثة.

خاطرة: الحياة الزوجية ليست كلها عسلًا أو بصلًا، لكنها لا تخلو من الاثنين؛ فالفطور لا يكتمل دون عسل، والغداء لا يصلح دون بصل.

obeikandl.com